

المصدر: القبس

التاريخ: ١٢ يناير ٢٠٠٢

فلسطين ومصر والسعودية نموذجا السياسة الخارجية الاميركية والعرب: ما لنا وما علينا

نيويورك
هنادي سلمان

السياسة الخارجية

الأميركية في دنيا

ما بعد ١١ سبتمبر

صورة العرب

قبل فترة كانت الصحف الأميركية مليئة بالتعليقات الساخرة التي تتناول «دائرة انكل بنز» في وزارة الخارجية الأميركية في إشارة الى تعيين شارلوت بيرز (مصممة حملة اعلانات أرز انكل بنز) في وزارة الخارجية من أجل العمل على اطلاق حملة لتحسين صورة أميركا في أعين العرب. اليوم يبدو أنه لم يعد هناك من يذكر شيئاً عن الموضوع. فالسيدة عينت قبل نحو ثلاثة أشهر، والحملة لم تبدأ بعد.

لا يمكن فعل الكثير فيها المشاعر مازالت متاجبة، يشرح المستشار الخاص لدى وزارة الخارجية كريستوفر روس «فشارلوت بيرز بدأت عملها قبل ثلاثة أشهر وهي تساهم في خلق افكار جديدة الا انها مازالت في مرحلة الانتقال وهي تعرف المطلوب منها جيداً كما انها تعرف الصعوبات التي ستواجهها. وهي تحاول ان تنقل شيئاً من روح الابداع والاحتراف الموجودة في عالم الاعلانات العصري الى الحكومة.

ماذا تفعل السيدة بيرز؟ يجيب روس «هي تلتقي بشكل دوري مع مجموعات من

خلال العام الماضي ومع تاجج الانتفاضة، زار نيويورك صحافي بارز يعمل في إحدى كبريات الصحف الأميركية وأعرب عن رغبته في لقاء السفراء العرب لدى الامم المتحدة الا انه وبسبب ضيق وقته لم يكن يستطيع لقاءهم الا في الصباح الباكر، على افطار عمل عند الثامنة والنصف صباحاً (وهو تقليد شائع في البلاد). «طبعاً، يروي أحد الزملاء العرب الكبار، «اعتذر سفراؤنا الاعزاء لأن الوقت مبكر جداً بالنسبة لهم ولم يحضر الا سفير إحدى الدول الخليجية، لم يجلس حتى، نظر الى الرجل وقال له «لدي كلمتان فقط، قل لحكومتك انها اذا كانت راغبة في فتح حوار مع الدولة الفلانية التي تقاطعها فان بلدي مستعد للقيام بوساطة سرية في هذا الصدد».

ثم خرج. ذهّل الصحافي الأميركي. نظر الى زميله العربي وسأله «لماذا يبلغني انا رسالة كهذه؟ هل يعتقد ان صحيفتي حكومية او ان لي منصباً حكومياً؟». في الايام التالية، نشر الصحافي مقاله، وفيه عرض واف لوجهة نظر الدبلوماسيين الاسرائيليين. كانت وجهة النظر العربية غائبة كالعادة.

عرب أميركيون/ أميركيون عرب

تروي أحد أعضاء الحزب الجمهوري البارزين وهي عربية أميركية ان النصيحة التي قدمها أعضاء الحزب من العرب الأميركيين لجورج بوش خلال بدء حملته الانتخابية كانت «تجنب الخوض في السياسة الخارجية وركز على الشؤون التي تهم الجالية العربية محليا مثل التمييز والاعتقالات على أساس الأدلة السرية». وقد التزم بوش بذلك.

«إلا ان ذلك الصمت غذى التوقعات بأن بوش سيتصرف كما فعل أبوه ووزير خارجيته جيمس بيكر في السابق وطبعا هي توقعات لم تتحقق. ولكنه يحاول، انظروا الى تعييناته في وزارة الخارجية». (في اشارة الى تعيين عدد من المستشارين والخبراء الذين يعدون من المتعاطفين مع العرب بعد حملة

التطهير التي نفذتها وزيرة الخارجية السابقة مادلين اولبرايت والتي تضمنت احتلال المواليين لاسرائيل لمبنى الوزارة).

تجد السيدة أن ما قالته لم ينجح في تبديد شعورها بالحرج فتقول، في محاولة جديدة للتبرير «هو لا يستطيع التصرف بعد. صحيح ان الجالية اليهودية لم تنتخبه لكن أصواتها ستكون مؤثرة في انتخابات عام ٢٠٠٤ (الرئاسية) وهناك انتخابات الكونغرس في ٢٠٠٢ ولذلك فهو لا يستطيع استغراق هذه الجالية الآن» يجب ان يهادنها حتى يضمن ولاية ثانية وهو هنا قد تعلم كثيرا من والده وهو لا يريد ارتكاب الاخطاء ذاتها... وفي خلال ولايته الثانية...»

فجأة تقرر الانتقال لموضوع آخر «إن عدد العرب الأميركيين المعينين في هذه الادارة من قبل الرئيس في مناصب متفاوتة الاهمية هو الاكبر في تاريخ هذه البلاد». هل الهدف هو المنصب ام ما يتيح المنصب؟ هل يتم تجنب القضايا ليتمكن الحفاظ على المنصب؟ «قطعا لا ولكن يجب عدم حرق المراحل».

لعلمك، فإن (المرشح الديموقراطي لمنصب نائب الرئيس جوزف) ليبيرمان

هو الذي اصر على تعيين عربي في ادارة الحملة «يقول أحد أعضاء الحزب الديموقراطي من العرب الأميركيين. لماذا؟ يجب لماذا؟ لماذا؟ لأنه رجل عادل».

يجد أن كلامه لم يلق الصدى المتوقع فيقول بانفعال صادق «قبل ٢٥ عاما لم تكن هناك

الشخصيات الدينية الاسلامية تناقش معهم ما يمكن القيام به وكيف يمكن نقل صورة ثراء الحياة الاسلامية هنا. فهي تؤمن ان المسلمين والعرب يشاركون الأميركيين بقيم اساسية (اهمية الاسرة، التعلق بالدين، حب الوطن) ومهمتها الاولى هي تذكير الناس بالقيم المشتركة وهي تريد المساعدة على اقامة جسور بين المواطنين وبين المؤسسات الخاصة لأن الدولة لا تتمتع بمصداقية كبيرة هناك حياة اسلامية غنية في الولايات المتحدة، مساجد، جمعيات الخ... نستخدم الامكانات الحكومية لنقل صورة عن هذا الثراء الى الدول العربية والمسلمة.

ولدى بيرز أيضا خطة طويلة المدى «أحد أكثر عناصرها فعالية هو برامج الزيارات (السفر) المتبادلة على مستويات ومن فئات عدة بين العرب وبين الأميركيين. ولكن ذلك لن يبدأ قريبا.

لماذا يكرهوننا؟

«القضية معقدة» بحسب روس «فالإجابة على سؤال لماذا يكرهوننا بالقول إن العرب يكرهون أميركا بسبب قيمها وبسبب كونها ما هي عليه هو خطأ فظيع، فالسبب هو في

الواقع ما يعتقد أن الولايات المتحدة تفعله أي ادارة السياسة الخارجية الأميركية. علينا أن نشدد على ذلك وعلينا أيضا التأكيد على ان حقيقة السياسة الخارجية الأميركية تنقل بدقة كائنة ما كانت. وذلك لن ينهي المشكلة لأن السياسة هي سياسة ولكن يجب عدم

الاختباء خلف اعذار مثل ان الناطق الرسمي لم يعبر جيدا او ان الكلام اخرج من سياقه الخ.. يجب خلق حوار حقيقي حول هذه السياسة، حوار على جميع المستويات. كلام منطقي ولكن كيف؟ يقول معلق صحافي فضل عدم ذكر اسمه «هم لا يعرفون كيف. كيف تتم إذابة جبل من جليد التشكيك وانعدام الثقة والجهل بالآخر عن طريق حملة اعلانية؟ في احدى المرات كنت أجري مقابلة مع أحد العاملين في الادارة التابعة لبيرز وكان محررا للغاية. فهو في أعماق نفسه يدرك أن الفكرة غير منطقية لكنها وظيفته. سألته أن يسمي لي فكرة من أفكار بيرز الجديدة، فقال إفطار رمضان في البيت الابيض، وابتسم (فالفكرة ليست «جديدة» تماما). فطلبت فكرة ثانية فقال إفطار رمضان في السفارات الأميركية في الدول الاسلامية الا انه في هذه المرة لم يتمكن من كسب قهقهته».

سبتمبر جاءت لتعيدنا سنين الى الوراء، أما المعضلة الحقيقية فتكمن هناك، في بلادنا. مهما حاولنا من هنا، لن نحقق شيئاً، التغيير يجب أن يتم من هناك».

هذه ليست مجموعة من «الحكايات»، على الرغم من أن كل العائدين من أميركا يروونها. منذ عشرات السنين، يروي العائدون من أميركا حكايات مثلها. لم تعد «الحكايات» تثير دهشة أحد. لم يعد استمرار حدوثها يثير استغراب أحد بات يغذي مشاعر اليأس فقط.

والحكايات هذه ليست «مادة سياسية دسمة»، لكنها قطعاً القاعدة التي تنطلق منها «المادة السياسية الدسمة»، هي عنصر رئيسي من بين عناصر تحديد الخطوط العريضة

للسياسة الخارجية. الأميركية في المنطقة. يقول مصدر مقرب من وزارة الخارجية الأميركية: «نحن نعلم أن بعض سياساتنا تثير السخط في البلاد العربية، ونعرف أنها تكون أحياناً ضد مصالحنا على المدى البعيد، وبيننا من يحاول مقاومتها، ولكن أعطونا فرصة كي نفعل ذلك، فإلى جانب غياب أو شبه غياب أي نوع من أنواع الضغط العربي محلياً، وإلى جانب حماقات بعض الأنظمة العربية نجد أنفسنا أمام معضلة. كيف ندافع عن قمع المعارضة والفساد مثلاً والعناصر الأخرى التي يستخدمها الطرف الآخر (الجالية اليهودية) في حملاته؟».

الكونغرس هو الأهم

يشرح باحث أميركي في الشؤون العربية أن الصحافة الأميركية كانت دوماً تنحاز للجانب الإسرائيلي إلا أن ذلك تغير قليلاً في السنوات القليلة الماضية (بعد اندلاع الانتفاضة الأولى) «مع أنها

بوش
ينظر
الى اصوات
اليهود
وانتخابات

٢٠٠٤

اسرائيل تعادي المسؤولين الاميركيين الذين درسوا في البلاد العربية

جالية عربية (منظمة) في هذه البلاد. مع الوقت بنينا وجوداً سياسياً في الولايات المتحدة يجعل المرشحين يسعون للحصول على الصنوت العربي، كانوا في الماضي يخسرون اصواتنا اذا قبلوا تبرعات من عرب. كان المرشح منا يخفي أصله ليضمن الفوز. في السبعينات والثمانينات، كانت الجماعات اليهودية تحتج على وجودنا في الحملات الانتخابية. حتى عام ١٩٨٨ كنا نطلب لقاء المرشحين وكانوا يرفضون لقاءنا... لقد كانت

طريقنا طويلة، ولم نصل الى هدفنا بعد، لكننا تمكنا من تحقيق ما لا عودة عنه. فمهلاً علينا».

عرب وأميركيون

«لماذا يكرهوننا؟» يسأل الأميركيون منذ ١١ سبتمبر.

«لماذا يكرهوننا؟» يسأل العرب، منذ عقود. نحن لا نعرفهم. هم لا يعرفوننا. نعرف عنهم ويعرفون عنا .. فقط.

يشرح صحفي عربي مقيم في العاصمة الأميركية أن أكثر الأميركيين تفهماً لقضايا العرب هم الذين درسوا عن المنطقة واضطروا

بسبب دراساتهم أو وظائفهم لزيارة الدول العربية ولذلك تجد بين نسبة كبيرة من المسؤولين المصنفين من الموالين للعرب في الخارجية (وهم طبعاً يثيرون حفيظة مؤيدي اسرائيل) لأن هؤلاء يزورون دولاً مثل مصر في خلال سنين دراساتهم ويعيشون فيها مما يمكنهم من فهم هذا «الآخر» بصورة أفضل.

أما نحن، يضيف الزميل، «فكيف أشرح لك، جاليتنا هنا مازالت في طور التكوين واعتداءات ١١

انها تحتاج اليها من اجل
استقرار المنطقة، كما أن
القاهرة ساعدت كثيرا في
حرب أفغانستان في المجال

الاستخباراتي.

ويرى تلحفي أن المقالات الصحفية التي
نشرت في مصر وهاجمت الولايات المتحدة
لها تأثير سيئ لا يمكن حتى للحكومة أن
تبسده إذ لا يمكن التسامح ازاء الكلام
العنصري الذي نشر في «الأهرام» يمكن
الاعتراض على السياسة الاميركية ولكن
ليس مهاجمتها عنصريا.

يضيف أن لدى مصر اصدقاء في الولايات
المتحدة بين النخب وبين العرب الاميركيين
وفي معاهد الابحاث، ومعظم هؤلاء يفهمون
الانتقادات الموجهة الى السياسات المصرية
مما يجعل من الدفاع عن مصر مهمة صعبة
والسببان الاساسيان هما ما ينشر من كلام
عنصري في صحف رسمية بالاضافة الى
قضية سعد الدين ابراهيم «المقرب من دوائر
مؤثرة هنا، كما أن حلفاء مصر في السياسة
الخارجية مقربون منه ويشعرون بالهانة لأنه
تم تجاهل رسائل بعثوا بها للسلطات المصرية
حول محاكمته عسكريا و لم يفكر أحد بالرد
عليها».

«كل ذلك يضعف من عزيمة اصدقاء مصر
ويحبطهم، هناك دائما من يريد الحاق الاذى
بالعلاقات المصرية الاميركية وهذه فرصتهم»
اما المصدر المقرب من وزارة الخارجية
فيرى أن مصر دولة في غاية الاهمية بالنسبة
لبلاده وأن «هناك قلقا ازاء ما كتب في
الصحافة المصرية. البعض يعتقد أن
الصحافة غير مهمة لكن الإدارة ترى انها
مهمة لا سيما انها رسمية... إلا أن الامر قابل
للحل».

ويقر خبير أميركي في العلاقات الدولية أن
لاسرائيل نفوذا كبيرا في الكونغرس وفي
الصحافة الاميركيين، إلا أنه يقول أن بوش
يسعى للبقاء على علاقات جيدة مع كل من
مصر والسعودية والاردن ومع اسرائيل في
الوقت نفسه «حتى لا يضطر لمواجهة اصدقاء
اسرائيل القادرين على عرقلة مشاريعه في
الكونغرس. كما أن المواجهة قادرة على إثارة
عداء الصحافة وهو الامر الذي الحق ضررا
بوالده في الماضي...».

الانطباع لسببين هما رغبته في اجراء
اصلاحات داخلية ودعمه للانفتاح الاقتصادي
من جهة، بالاضافة الى كونه من اعلى
محاربي الفساد في بلاده من جهة ثانية.

بدوره، يشرح مصدر مقرب من وزارة
الخارجية أن دوائر واشنطن تحمل الكثير من
الاحترام للأمير عبدالله لأنه ضد الفساد
أساسا، وايضا لأن «افكاره جيدة». ويهزأ
المصدر من الكلام عن احتمال تدخل واشنطن
في مسائل العائلة السعودية المالكة الداخلية.
ويقول المصدر أن بلاده مهتمة جدا
باستقرار السعودية كما أن السعودية شديدة
الاهتمام بالسياسة الخارجية الاميركية،
معتبرا أن العلاقات الثنائية بين البلدين تمر
حاليا في مرحلة اعادة تقييم بما يرضي
مصالح الطرفين.

ويشرح المصدر أن هذه المشاكل لا تثير
القلق على المستزى الرئاسي ولكن «يجب ألا
تنسى أن الكونغرس هو جهاز مستقل وشديد
التأثر بجماعات الضغط، ويمكنه أن يعطل
صفقات».

وعلى الرغم من أن المصدر يعتبر أن
العلاقات مع مصر والسعودية ليست معرضة
لاي خطر، إلا أن الأزمة الحالية يجب أن تنتج
تغييرات (في النظام التربوي السعودي، وفي
الاجراءات الاقتصادية الخ).

بدوره يتوقع هادسون أن تشهد العلاقات
مع مصر والسعودية مرحلة من التأسيس
لقواعد جديدة وكأنما يتم ابلاغهما «لن
نتسامح مع أي معارضة، لن يحدث مشاكل في
العلاقات اذا فعلتما ما يطلب منكما».

أما عضو إحدى جماعات الضغط في
الكونغرس رالف نورنبرغر فيرى أنه على
عكس العراق وايران، فإن نظامي مصر
والسعودية يؤيداننا فيمنعنا مواطنوهما
يعارضوننا. هناك فعلا الآن تساؤلات حول

استمرار الدعم لهاتين
الدولتين ولكن لن يفضي
ذلك لشيء لأن الولايات
المتحدة تحتاج للآثنين.
لذلك ستستمر العلاقات
ولكن ربما في اطار مختلف
(تغييرات في قطاعي
التربية والصحافة، انفتاح
الخ...).

والامر ذاته ينطبق على
مصر «وهي اكبر الدول
العربية وأقواها عسكريا
والولايات المتحدة تدرك

السعودية ومصر

يقول استاذ العلاقات الدولية في جامعة مريلا ند شيلي تلحمي ان الرئيس الأميركي جورج بوش «تأثر كثيرا قبل ١١ سبتمبر بامتناع ولي العهد السعودي الأمير عبدالله عن زيارة واشنطن، وبالتشديد السعودي على ضرورة ايجاد حل للقضية الفلسطينية والكف عن تجاهلها».

ويكمل خبير أميركي في العلاقات الدولية قائلا ان الكلام عن أن خطاب وزير الخارجية الأميركية كولن باول الذي أعلن فيه عن تأييد قيام دولة فلسطينية كان معدا قبل الحادي عشر من سبتمبر على أن يعلن خلال جلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة جاء في هذا

السياق اذ أن الضغط الذي مارسه الأمير عبدالله وجد صدى ودفع الإدارة الى اطلاق مبادرة.

وطبعا، لم يعجب ذلك كله الجماعات اليهودية الأميركية ومؤيدي اسرائيل في واشنطن، لذلك وجد هؤلاء فرصتهم بعد الاعتداءات فبدأوا يفتحون ملفات مغلقة: يجب على النظام (السعودي) أن ينفذ، اقتصاديا وسياسيا.

الاقرار بان اسرائيل من اسباب الإرهاب توقف فجأة

فرصة

ومثله، يقول أستاذ العلوم السياسية في جامعة جورج تاون مايكل هادسون ان الجماعات المؤيدة لاسرائيل لم يكونوا يوما سعداء بالعلاقات الأميركية السعودية «وامامها اليوم فرصة ذهبية لطرح اسئلة حول هذه العلاقات. وهناك «الصقور» من المعلقين الصحافيين ولكن للأسف مصر والسعودية هدفان سهلان».

يشكك تلحمي في رغبة الولايات المتحدة بالإطاحة بالنظام السعودي، مشيرا الى ان الأميركيين كانوا في البداية يخشون الأمير عبدالله ونزعاته العربية ولكن زيارته لواشنطن قبل أكثر من عام غيرت هذا

ما زالت بعيدة عن ان تكون متوازنة اساسا لأن الجاليات اليهودية شديدة التنظيم من جهة ولأن العرب من جهة ثانية غير ممثلين على الاطلاق. لن أقول أقل تنظيما، أقول

شبهه غائبين. والصحافة طبعا لا تمثل السياسة الأميركية لكنها تؤثر فيها. والمسألة ليست مسألة صحافة فقط. فهناك الكونغرس وهو الأهم. والكونغرس مكان رحب يتسع للجميع وله نفوذ لا مثيل له على صناعة القرار. ولكن، أين هي جماعات الضغط العربية في الكونغرس؟ من من السخراء العرب يقيم علاقات مع النواب واعضاء مجلس الشيوخ؟ حسنا، ربما هناك جماعة واحدة، أسسها المؤيدون للجنرال ميشال عون».

في ظل ذلك كله، يؤكد خبير في العلاقات الدولية انه من المتوقع أن تقوم الادارة الأميركية بعد ١١ سبتمبر بعملية إعادة تقييم لسياستها في الشرق الاوسط. لماذا يكرهوننا؟ هو السؤال المطروح. اسرائيل

واصدقائها يخشون أي تغيير في السياسة الأميركية ازاء اسرائيل لأن الاجابة على السؤال يمكن ان تكون «انهم يكرهوننا بسبب دعمنا لاسرائيل». ولفترة وجيزة تلت الاعتداءات، صدرت أصوات كثيرة تطالب بوقف الدعم المطلق لاسرائيل وبحل للصراع العربي الاسرائيلي معتبرة انه أحد أهم أسباب «الإرهاب».

ولكن، فجأة وبسرعة، اختفت هذه الأصوات وحلت محلها أصوات تهاجم العرب والمسلمين عموما ومصر والسعودية تحديدا، وتطالب بالتخلص من ياسر عرفات.

«المشكلة ليست اسرائيل. ان سبب

استهدافنا ليس اسرائيل (التي تشاركنا قيما) ولكن السبب هو الانظمة العربية

المستبدة والفساد وهما عملاقا ينتجان اسلاميين متطرفين. السبب هو دعمنا لأنظمة مستبدة تستعدي شعوبها، وخاطفو طائرات ١١ سبتمبر اتوا بمعظمهم من مصر والسعودية وهما دولتان تقمعان معارضيهما. اذا لا تلوموا اسرائيل لكره العرب والمسلمين لنا بل لوموا الانظمة التي تغذي التطرف وتعلم مواطنيها كره الغرب منذ طفولتهم وهم في المدارس ثم تدعي انها خليفة لنا».